Kopyası çekilebilir
A. Tüzel

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

معاني السماء والأرض في القرآن

دكتور
أحمد الحوفي

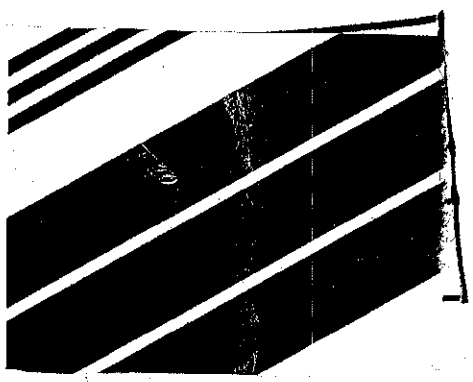

مؤسسة الخليج العربي

١٩٥ شارع ٢٦ يوليو - العجوزه - القاهرة

تليفون ٣٤٧٢١٨٣ - ٣٤٧٢٢٠٦

الفصـــل الأول

معانى السَّماء فى القرآن الكريم

معانى السَّماء فى القرآن الكريم

ترددت فى القرآن الكريم كلمة السماء وكلمة السماوات عشرات المرات ، ولها فى مواضعها عدة دلالات .

و يقتضينا الإلمام بهذه الدلالات أن نتعرف معانى الكلمة فى اللغة العربية من أوسع معاجمها وهو لسان العرب لابن منظور.

فالسمو: الإرتفاع والعلو، يقال سما الشيء : يسمو، و يقال سما لى شخص فلان : أى إرتفع من بعيد ، و يقال فلان لا يسامى وقد علا من ساماه .

وسماء كل شيء أعلاه ، و يسمى ظهر الفرس سماء لعلوه .

والسماء سقف كل شيء ، وكل بيت ، وكل ما علاك فأظلك فهو سماء .

والسماء السحاب ، ومنه قول الشاعر:

إذا سقط السماء بأرض قوم .. رعيناه وإن كانوا غضابا

والسماء المطر لأنه ينزل من السماء ، يقال مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، أى نطأ المطر.

وفى الحديث الشريف : صلى بنا إثر سماء من الليل ، أى إثر مطر.

و يسمى العشب سماء ، لأنه يكون عن السماء الذى هو المطر، قال الشاعر:

فلما رأى أن السماء سماؤهم .. أتَى خطةَ كان الخضوع نكيرها

أى أنه رأى أن العشب عشبهم ، فخضع لهم ليرعى إبله فيه .

ولفظ السماء يؤنث و يذكر، أما التأنيث فكثير، وأما التذكير فللدلالة على أن المراد المطر أو السقف ، ومنه قوله تعالى : [السماء مُنْفَطِرٌ به كان وعده مفعولا] (١) ولم يقل منفطرة ، ومنه قول الشاعر:

فلو رفع السماء إليه قوما .. لحقنا بالسماء مع السحاب

وقد تطلق السماء و يراد بها السماوات السبع ، لأن اللفظ واحد والمعنى للجميع ، ومنه قوله تعالى : [ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعَ سماوات ، وهو بكل شىء عليم] (٢) .

ووردت كلمة السماء وكلمة السماوات فى القرآن الكريم بهذه المعانى ، وبمعان أخرى متفرعة عنها بطريق المجاز.

(١) سورة المزمل ، ١٨ .

(٢) سورة البقرة ، ٢٩ .

(١) جهة العلاء

تدل كلمة السماء على العلو والإرتفاع فى آيات كثيرة .

منها تصوير المسلم منشرح الصدر، مطمئن القلب ، هادىء النفس ، وتصوير الكافر ضيق الصدر، مكظوم القلب ، عسير التنفس ، كأنه يصعد إلى السماء حيث لا يجد الهواء الصالح لتنفسه ، وحيث ينقص الضغط الجوى على جسمه فلا يكاد يعيش ، قال تعالى : [فمن يُرِد اللهُ أن يَهْدِيه يشرحْ صدره للإسلام ، ومن يرد أن يُضِلَّه يجعل صدره ضيقا حَرَجًا كأنما يَصَّعَّد فى السماء](١) .

ومنها تمثيل كلمة التوحيد أو كلمة طيبة كالتسبيحة والتحميدة والإستغفارة والتوبة والدعوة إلى الحق والخير بالشجرة الطيبة التى يرسخ أصلها فى الأرض ، وتتصاعد فروعها فى السماء ، وتؤتى ثمارها فى أوقاتها التى قدرها الله ، قال تعالى : [ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبةً كشجرة طيبة ، أصلها ثابتٌ ، وفرعها فى السماء ، تُؤْتى أُكُلَها كلَّ حين بإذن ربها ، و يضرب الله الأمثال للناس ، لعلهم يتذكرون] (٢) .

ومنها توجيه النظر إلى قدرة الخالق تعالى إذ جعل للطير أجنحة ووسائل تستطيع بها الطيران فى الجو، وتستطيع أن تنقبض وتنبسط وأن تقف وتعلو وتهبط ، قال تعالى : [ألم يروا إلى الطير مُسَخَّراتٍ فى جوِّ السماء ، ما يمسكهن إلا الله (٣) .

(١) سورة الأنعام ، ١٢٥ . حرجا : شديد الضيق .

(٢) سورة إبراهيم ، ٢٤ — ٢٥ .

(٣) سورة النحل ، ٧٩ .

ومنها تصوير المشرك بأنه أهلك نفسه، فصار مثل من سقط من السماء، فتخطفته الطير، فتفرق فى حواصلها مزعا وقطعا، أو سقط من السماء فعصفت به الريح حتى هوت به فى مكان بعيد، قال تعالى: [ومن يُشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء، فَتَخْطَفُه الطير، أو تَهْوِى به الريح فى مكان سحيق](١).

ومنها قوله تعالى: [وإن كان كَبُرَ عليك إعراضهم، فإن استطعت أن تبتغى نَفَقا فى الأرض أو سُلَّما فى السماء فتأتيَهُمْ بآية، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، فلا تكونَنَّ من الجاهلين](٢).

ومنها إن الله تعالى هو الذى يرسل الرياح، فتثير سحاباً، فينشره فى السماء كيف يشاء، فيجعله متصلا تارة، ويجعله قطعا تارة، فيتنزل منه المطر، قال تعالى: [الله الذى يُرسِلُ الرياح فتثيرُ سَحَابا، فيبسطهُ فى السماء كيف يشاء، ويجعلهُ كِسَفاً، فترى الوَدْقَ يخرج من خلاله، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون](٣).

(٢) مهبط المطر

و يتصل بالعلو والفضاء والجو أن السحاب يسبح فى هذا الفضاء أو فى هذا الجو الذى فوقنا، فيدر المطر على الأرض، قال تعالى: [أو

(١) سورة الحج، ٣١.
(٢) سورة الأنعام، ٣٥.
(٣) سورة الروم، ٤٨ ــ كسفا: قطعا. الودق: المطر.

كصَيِّب من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ و برقٌ](١).

وقال سبحانه: [وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم](٢).

وقال تعالى: [إن فى خلق السماوات والأرض وإختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبَثَّ فيها من كل دابة، وتصريف الرياح، والسحاب المسخرَّ بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون](٣).

وقال سبحانه: [وقيل يا أرض ابلعى ماءك، و يا سماء أقلعى](٤).

وقال تعالى: [ألم تر أن الله يُزْجِى سحابا، ثم يؤلف بينه، ثم يجعله رُكاما، فترى الوَدْقَ يخرج من خلاله، و ينزل من السماء من جبال فيها من بَرَد، فيصيب به من يشاء، و يصرفه عن من يشاء، يكاد سنابرقه يَذْهَبُ بالأبصار(٥).

وقال سبحانه: [أنزل من السماء ماء فسالت أودية بِقَدَرِها](٦) أى جرى الماء فى الأودية بالقدر الذى قدره الله.

(١) سورة البقرة، ١٩ ــ الصيب: المطر.
(٢) سورة البقرة، ٢٢.
(٣) سورة البقرة، ١٦٤.
(٤) سورة هود، ٤٤.
(٥) سورة النور، ٤٣ ــ يزجى: يسوق. ركاما: مكوسا بعضه فوق بعض..
(٦) سورة الرعد، ١٧.